من قبل فاوردهم شر الموارد وتبرا منهم كل البراة وتكلم الناس في قول عدو الله اني
اخاف الله فقال قتادة وابن اسحق صدق عدو الله في قوله اني ارا ما لا ترون وكذب
في قوله اني اخاف الله والله ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم
ثم اسلمهم وكذلك عادة عدو الله بمن اطاعه وقالت طايفة انما خاف بطشة الله به
في الدنيا كما يخاف الكافر والفاجر ان يقتل او يوخذ بجرمه لا انه خاف عقابه في الاخرة
وهذا اصح وهذا الخوف لا يستلزم ايمانا ولا نجاة قال الكلبي خاف ان ياخذه جبريل
فيعرفهم حاله فلا يطيعونه وهذا فاسد فانه انما قال لهم ذلك بعد ان فر ونكص على
عقبيه الا ان يريد انه اذا عرف المشركون ان الذي اجارهم واوردهم ابليس لم يطيعوه
فيما بعد ذلك وقد ابعد النجعة ان اراد ذلك وتكلف غير المراد وقال عطا اني اخاف
الله ان يهلكني فيمن يهلك وهذا خوف هلاك الدنيا فلا ينفعه وقال الزجاج وابن
الانباري ظن ان الوقت الذي انظر اليه قد حضر زاد ابن الانباري قال اخاف ان يكون
الوقت المعلوم الذي يزول معه انظاري قد حضر فيقع في العذاب فانه لما عاين
الملايكة خاف ان يكون وقت الانظار قد انقضى فقال ما قال اشفاقا على نفسه
فصل ومن كيد عدو الله انه يخوف المومنين من جنده واوليايه فلا يجاهدونهم ولا يامرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر وهذا من اعظم كيده باهل الايمان
وقد اخبرنا الله سبحانه عنه بهذا فقال انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مومنين المعنى عند جميع المفسرين يخوفكم باوليايه قال قتادة يعظمهم
يعظمهم في صدوركم ولهذا قال فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين فكلما قوي ايمان
العبد زال من قلبه خوف اولياء الشيطان وكلما ضعف ايمان العبد قوي خوفه منهم
فصل ومن مكايده انه يسحر العقل دايما حتى يكيده ولا يسلم من سحره الا من
شا الله فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل اليه انه من انفع الاشيا له وينفره من الفعل
الذي هو انفع الاشيا له حتى يخيل اليه انه يضره فلا اله الا الله كم فتن بهذا السحر
من انسان وكم حال به بين القلب وبين الاسلام والايمان والاحسان وكم جلا الباطل وابرزه في صورة حسنة وشنع الحق واخرجه في صورة مستهجنة وكم بهرج من
الزيوف على الناقدين وكم روج من الزغل على العارفين فهو الذي سحر العقول حتى القا
اربابها في الاهوا المختلفة والارا المتشعبة وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك

(في الهامش: وكشع)

والقاهم

والقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك وزين لهم من عبادة الاصنام وقطيعة الارحام
ووأد البنات ونكاح الامهات ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان و
ابرز لهم الشرك في صورة التعظيم والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه على عرشه وتكلمه بكتبه في
قالب التنزيه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد الى الناس وحسن الخلق معهم
والعمل بقوله عليكم انفسكم والاعراض عما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم في قالب التقليد والاكتفا
بقول من هو اعلم منهم والنفاق والادهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج
به العبد بين الناس فهو صاحب الابوين حين اخرجهما من الجنة وصاحب قابيل حين قتل
اخاه وصاحب قوم نوح حين اغرقوا وصاحب قوم عاد حين اهلكوا بالريح العقيم
وصاحب قوم صالح حين اهلكوا بالصيحة وصاحب الامة اللوطية حين خسف بهم واتبعوا
بالرجم بالحجارة وصاحب فرعون وقومه حين اخذوا الاخذة الرابية وصاحب عباد
العجل حين جرى عليهم ما جرى وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر وصاحب كل هالك
ومفتون فصل واول كيده ومكره انه كاد الابوين بالايمان الكاذبة انه ناصح
لهما وانه انما يريد خلودهما في الجنة قال تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري
عنهما من سوأتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فالوسوسة حديث النفس
والصوت الخفي وبه سمي صوت الحلي وسواسا ورجل موسوس بكسر الواو ولا تفتح فانه
لحن وانما قيل له موسوس لان نفسه توسوس اليه قال تعالى ونعلم ما توسوس به نفسه
وعلم عدو الله انهما اذا اكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما فانها معصية والمعصية
تهتك ستر ما بين الله وبين العبد فلما عصيا انهتك ذلك الستر فبدت لهما سوأتهما
فالمعصية تبدي السوءة الباطنة والظاهرة ولهذا راى النبي صلى الله عليه وسلم في روياه
الزناة والزواني عراة بادية سواتهم وكذلك اذا راى الرجل او المراة في منامه مكشوف
السوءة فانه يدل على فساد في دينه قال الشاعر «اني كاني ارى من لا حيا له
ولا امانة وسط الناس عريانا» فان الله سبحانه انزل لباسين لباسا ظاهرا يواري العورة ويسترها ولباسا باطنا من التقوى يجمل العبد ويستره فاذا زال
عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنة كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع
ما يسترها ثم قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين اي الا كراهة

(في الهامش: لعله يندرج — في سوآتهما)

Copyright © King Saud University